مسؤولية الأمانة

كلمــة الـدكتور إبـراهيم الجعفـري إلـى الـشعب العراقـي بمناسـبة إعادتــه مـسؤولية رئاسة مجلس الوزراء إلى الائتلاف العراقي الموحد

بغـــداد
2006/4/20

المقدمة

عندما يقرر المرء أن يتصدى للمسؤولية، ويحمل عبء مرحلة تاريخية قد تنوء بحملها الجبال الرواسي، والأرضون فإنه بذلك يعيش وجودين، الأول: وجوده الفيزيائي العابر بعبور ذروة التصدي من زمن الشروق إلى الغروب، والثاني: وجوده التاريخي الدائم الذي يكون أطول عمراً من مرحلة التصدي؛ وبذلك لا يشيخ ميلاد رجل المرحلة، أو يهرم بهرمها الزمني الضيّق.

وبالعودة إلى استحضار قيم الإنسانية الحقة عند العرب، يطل علينا الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد بحكمة لازالت تؤتي أكلها على الرغم من تقادم الزمن وهو يصور حال المسؤول مع مسؤوليته إذ يقول:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب

ولا ينال العلا من طبعه الغضب

نعم .. هكذا يدرك الرجل الفذ معنى أن يكون رأساً في قبيلة، وقائداً في مجتمع، وفارساً في وغى الحرب، حيث تختار الرتب الرفيعة من يليق بها في كل وقت، وحين، وتربأ بنفسها عن كل من يلهث وراء ركب الموجة، طلباً للأضواء، وسعياً لما هو زائل لا محالة.

القائد المرحلي هو من يصنع مرحلة التاريخ ببعديها: الراهن والدائم، وينقش في ذاكرة الشعب حضوره الكثيف، ويخطئ كل من يعتقد - ولو للحظة ما - أنَّ مثل هكذا قائد قد تمحوه الأيام من الذاكرة.

إن قبول المسؤولية بطلب من الشعب، والتخلّي عنها بطلب من الشعب أيضاً يعني ذلك تطبيقاً صميمياً، وتجسيداً عميقاً لفعلِ المسؤولية بحد ذاتِها، بل سمواً بجوهر

أدائها على أكمل وعي، وثباتاً على حرصها، والعمل بها، ومكوثاً في ميدانها إلى ما لانهاية بما يحقق مصلحة الشعب، ومنفعة الناس .. قال الله (تبارك وتعالى) في محكم كتابه العزيز:

((أما الزبد فيذهب جُفاءاً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض))

هذا الكلام ليس شقشِقَةَ خطبة، أو سحابة صيف عابرة، أو هو محاولة؛ لإثبات شيء ما، بل هو رسالة، ووصية، وموقف مسؤول نريد له أن يمارس فعله داخل الوعي السياسي الراهن، ويسدد خطابه نحو الأهداف الكبرى التي هي أمانة في أعناقنا، والتي ضحّى من أجلها الأحرار، وسالت دماؤهم الزكية؛ لترجمتها فعلاً إنسانياً مضارعاً، ومستقبلاً؛ خدمة للشيوخ، والأرامل، والثكالى، واليتامى في أرض العراق، ووفاءً لكل الشهداء في تراب هذا الوطن الطاهر.

مسؤولية الأمانة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وجميع عباد الله الصالحين.

السلام على الشعب العراقي.. السلام على الأحرار.. السلام على شعب البطولات.

قال الله (تبارك وتعالى):

بسم الله الرحمن الرحيم

((إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً)).

(سورة الاحزاب/72)

وقفة إكبار، وإعجاب للشعب العراقي البطل، شعب القمم..

وعندما يتحدث إنسان عن العراق يجد نفسه يتسلق قمم الصمود، والشجاعة، والبطولة وقمم التاريخ والحضارة، وقمم الشهادة.. لقد شاء الله (تبارك وتعالى) أن يجعل لهذا الشعب الأبيّ قدراً كبيراً يسمو به في سماء المعرفة، وفي سماء البطولة والتضحية.

أيها الشعب العراقيّ الأبيّ

وقفة إكبار، وإعجاب لمسيرة شعبنا النضالية المضمّخة بالدم، والمفعمة بالأمل، والمُصِرة على مواصلة المسير.. وقفة أمل كبيرة تتناسب مع حجم طموحاتنا، ونحن نستمد هذه النظرة من واقع أبناء شعبنا، بمختلف طبقاته، وشرائحه.

أيها الإخوة الأحبة

عندما تحملت المسؤولية، كنت أعرف أنها ليست قليلة، وأعرف أن الطريق ليست قصيرة، وأعرف أن التحديات كبيرة لكني استلهمت قبول المسؤولية من خلال المنظومة المعرفية التي تربطني بالله (تبارك وتعالى)، وتمدّني بفهم معنوي يتجاوز إمكانياتنا المادية.

كذلك أستمد إصراري على تحمّلي المسؤولية من خلال قاعدة الشعب البطل الشجاع الذي تحوّل عندي إلى مدرسة أتعلم منها دائماً وأبداً ويفاجئني هذا الشعب بدروس لا يمكن أن أستغني عنها.

أعرف جيداً متى بدأت المسؤولية في حياتي، وأستطيع أن أؤرخ متى تحملت المسؤولية ولكنني لا يمكن أن أؤرخ متى سأنتهي من المسؤولية؛ لأنها مرتبطة بحياتي فمتى انتهت حياتي انتهت مسؤوليتي.

إن المسؤولية بالنسبة لي أكبر من الموقع، وأنا أقدّر جيداً أن زمن المسؤولية أطول من زمن الموقع، وأن مساحتها أكبر من مساحة الموقع، ولم أكن أبداً بموقع من خلال أدائي للمسؤولية حتى تنتهي المسؤولية بانتهاء الموقع.

الموقع طارئ في حياتي، أما المسؤولية فهي متلازمة، لا يهمّني كم أحكم من السنين، بل لم أكن أفكر كم سأحكم، لكن يهمني كثيراً كيف أحكم، كيف أسهم في إشاعة العدل..؟ العدل الذي يتطلع إليه كل المظلومين، وكل المحرومين من كل أبناء الجنس البشري في مختلف مناطق العالم حيث تتطلع أعناقهم إلى العدل بعد أن تفشّى الظلم.

لقد تجسّد الظلم في العراق من خلال صفحة كبيرة (سوداء)، أطبقت على العراق؛ لذلك أنا أدرك جيداً أني واجهت الكثير من المصاعب وأنا أتصدى للمسؤولية.

ما استطاع بعض قُطّاع الطريق أن يستبدلوا عقلي بعقلهم، وإرادتي بإرادتهم، وحتى إذا استطاع البعض أن يمنعني من الوصول إلى الهدف الذي أخدم فيه، أو الموقع الذي أخدم فيه بلدي، ممن رأيتهم وتعاملت معهم - وهم كثر - إلا أن الغالبية

من إخواني، وأعزائي، وأبنائي، وبناتي من كل أبناء العراق قد رفدوني بكل معاني القوة، والعزيمة للاستمرار؛ لذلك واصلت المسير انا والكثير من اخواني سواء أكان على مستوى الحكم، ام على مستوى الحركة، ام على مستوى الكائنات السياسية الاخرى، وعهد الله (جل وعلا) عليَّ أني سأواصل هذه المسيرة مهما طال الطريق، ومهما كثرت الصعوبات.

إن الذين رضوا لأنفسهم أن يرموا بعض الحجارة في الطريق، وربما أكون عجزت عن منعهم عن رمي الحجارة، لكنهم عجزوا أن يضعوني في موضع العداء، ربما لم أستطع أن أحول دون أن يعاديني البعض، لكن، استحال عليهم أن يحوّلوا نسيجي الإنساني إلى نسيج عدائي.

البعض من ذوي الخطاب المزدوج، خطاب الغرفة الذي يختلف عن خطاب الشاشة كنت أستمع إليهم من خلال تصريحاتهم على شاشات التلفاز، وعندما ألتقيهم أفكر في ماهية الفرق والبون الشاسع بين ما يجاملون به وبين ما يقولون.

أنا أحترم قناعاتهم، وأحترم آراءهم، وأقول لهم من موقع المحبة، اقول لهم ما قاله (الفراهيدي)، وهو يخاطب ابنه من موقع الأبوّة الحانية:

لو كنت تعلم، ما أقول عذرتني

ولو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن، جهلت مقالتي فعذلتني

وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

أقول لكل هؤلاء الذين أخاطبهم بلغة الحب، التي أتمنى أن لا تفارقني حتى تفارق روحي بدني، أقول لهم: إن العراق الجديد تسود فيه ثقافة الحب، وثقافة المعرفة، وثقافة التسابق من أجل بذل المزيد من العطاء؛ لإقامة صرح العراق السياسي الجديد الذي يقف فيه أبناء العراق جميعاً لبناء بلدهم.

أيها الإخوة الأعزاء

أود أن أقول لكم، ومن وحي المراجعة لا التراجع: إنني أراجع نفسي مع كل فرصة تتاح لي، وما راجعت نفسي مرة إلا وتعلمت، واكتشفت نقاط ضعف، واكتسبت نقاط قوة، وهذا هو ديدن الذين يراجعون أنفسهم.

بعد أن كلفني الإخوة في الائتلاف بموقع رئاسة الوزراء في الدورة الجديدة، والتي يعلم الجميع أنني لم أكن متهالكاً، ولم أكن طالباً لها، ولم أكن مُصِراً عليها إنما تركت الخيار لهم وحدهم؛ ليقرّروا ما يريدون، واستجبت لهم، ثم إني أشعر أن هذا الائتلاف الذي أعتبره هدفاً لي، وليس وسيلة أشعر أنه مع مرور الزمن بدأ يواجه بعض التحديات، وقد أثيرت في وجهه بعض التساؤلات، ولا يمكن أن أرضى لنفسي أن يقترن اسمي بإعاقة حركة هدف كبير يمثل عصارة معاناة شعب، وطموحات أمة، وتسديد مرجعية، لا أرضى أن يقترن اسمي بتأخير هذا الركب الميمون المبارك.

لهذا كله، مثلما ضحّيت في بداية تشكيله، وضحّيت في الاستمرار معه، يجب أيضاً أن أضحّي بكل شيء من أجل أن أحرص على نجاحه، ووحدة كلمته، فأنا أفهم الائتلاف موحداً، لا أقتطعه عن بقية أجزاء جسم العراق، بل أعتقد انني عندما انطلق من البيت الائتلافي الى العراق كله، انطلق اقوى ممن افتقد هذا البيت.

أتمنى على كل البيوت، وكل الكيانات أن تنتظم على شكل تجمعات سياسية، لا على نحو التنافر والتناقض، بل على نحو التكامل، فارتباطي بالائتلاف لم يكن من وحي العقدة العصبية، بل من وحي العمل الحضاري، الذي يتمظهر على شكل منظومة عمل تنسق بين أفراد هذا البيت (الائتلاف)؛ حتى تتعامل مع الآخرين، وتساوق الآخرين، وتسهّل على الآخرين صناعة البيت العراقي الجديد.

أنا فهمت الائتلاف تكاملاً، ولم أفهمه حالة من التراشق ومن وحي ما قدرته في الظرف الأخير شعرت أني لابد أن أعيد الأمانة مرة أخرى إلى إخواني، وأعزائي، و بناتي، وأولادي في الائتلاف؛ لكي يروا رأيهم مرة أخرى.

فمثلما ائتمنوني أول مرة منذ أن اختاروني لهم الحق أن يعيدوا النظر، وقد تنازلت عن حقي في أني مرة أخرى أعود إليهم، ليقرروا ما يريدون، ومثلما عاهدت شعبي وعاهدت الائتلاف، لأنه عبّر عن ثقل سكاني كبير لشعبي، أعاهدهم أن لا أتأخر، ولا أتخلف عن الاستجابة لرأي شعبي، وإخوتي الأعزاء (في الائتلاف).

إذا ما اختارالإخوة في الائتلاف من يرونه مناسباً غيري (لرئاسة الوزراء) فهذا لا يعني بالنسبة لي أن أتعامل من وحي القطيعة، أو الانقطاع، وإنما من وحي الاستمرار، ولكن من موقع آخر.

لا يمكن أن أتخلى عن هذا الشعب قيد أنملة، ومنذ انطلقت، ومنذ أدركت، ومنذ هاجرت، ومنذ جئت الى العراق، لا يملأ وجداني إلا الشعب العراقي، ولذلك لا افكر

ولا اراجع (على الرغم من أني أراجع بعض الأمور)، ولكن الشيء الذي لا يمكن ان أراجعه، هو التفاني من اجل هذا الشعب البطل.

أيها الإخوة

لا يمكن أن أرضى لنفسي أن أكون عقبة، أو أبدو كأني عقبة، لذلك وددت أن أطمئنّ على مسيرة الائتلاف، التي تعبّر عن رأي شعبي، فطرحت الأمر برسالة مدونة، كتبتها قبل يوم واحد..

(يوم أمس)، وقد قُرئت اليوم على اللجنة السياسية في الائتلاف؛ لكي يفكروا بحرية كاملة، وينظروا ما يفعلون في هذا الصدد.

أعزائي، أيها الشعب العراقي البطل

أنا على يقين أن المسؤولية على عاتقنا جميعاً أياً كانت مواقعنا، وأياً كانت أدوارنا في بناء البيت الديمقراطي، السياسي، العراقي الجديد.

إن الشعب العراقي انطلق من أسر الذات، لا يمكن إعادة اختزاله بشخصية واحدة، وبحزب واحد، وبمجموعة معيّنة.

إن الشعب العراقي يشكل ينبوعاً متدفقاً في الجانب المعنوي الذي يمدّ المتصدين بالثقة؛ لذلك أقدّر مشاعر شعبي، وتلك الشرائح الاجتماعية المختلفة التي عبّرت عن مشاعرها بشكل صادق ومؤثر فيّ، والتي رفدتني بمختلف أنواع الصمود للاستمرار، والتحدي، والإبداع.

إن هذا الشعب يستحق كل التفاني، ومن قِبَلي أقدّم لهم أسمى آيات الشكر والتقدير والاحترام، وإني على العهد، ولن أتخلى عنهم (الشعب العراقي)، حتى النفَس الاخير، وإذا كنت معذوراً أني أشغل موقعاً معيناً، فلست معذوراً من الاستمرار بالدرجة العالية نفسها من الثقة، والاستعداد للتضحية.

لم تزدْني التحديات إلا إيماناً وإصراراً وثقة، وعلمتني (التحديات)، من دون تكلف أن أبتسم أمام التحدي؛ لأنني أدرك جيداً أن نفسي تتزوّد، وتتموّل من زاد المصاعب والمشاكل، تماماً كما يأخذ بدني من زاد الطعام، ولم يزدني ذلك إلا ثقة بأبناء الشعب العراقي البطل؛ لذلك عهد الله عليّ أن أواصل هذه المسيرة، وكلي ثقة بأن الشعب العراقي، شعب المعلمين، وأن العراق هو المدرسة التي ما انفكت تعطي لكل من يقطن فيه، أو يعيش فيه، أو ينتمي إليه، أو يزوره إلا وأعطاهم العراق الدرس تلو الآخر.

أخاطب كل العراقيين.. أخاطب كل حرة من أحرار العراق.. أخاطب كل شاب من شباب العراق، وكل طالب من طلاب الجامعة، وكل معلم من المعلمين، وكل فلاح من الفلاحين الذين يأكلون من عرق جبينهم، وأخاطب الجميع من دون استثناء، أخاطب أسرتي التي ما فرّقتُ بين أفرادها.. أخاطب أبناء الشعب العراقي، كما لم أفرّق بين أسرتي المكوّنة من خمسة أولاد.. أخاطبهم جميعاً بكل ثقة وأقول:

إن العراقيين أكبر من أن يتصاغروا، ويتعاثروا بهذا الموقع أو ذاك .. الموقع العراقي أكبر من كل موقع، وعمر العراق أطول من عمر الدولة.

سيبرهن شعبي مثلما برهن بأنه صنع كرامات يستحيل على أي مجتمع في العالم أن يصنع مثلها، لقد أسمعَ العالم، وأرى العالم، كيف حوّل مأساة جسر الأئمة إلى عرس وطني، وكيف أخذ من انهيار القبة المقدسة في سامراء زاداً معنوياً، وتحدياً جديداً، ورد على التفرقة بالوحدة، ورد على كل المحاولات التي أرادت أن تثني العراقيين بمزيد من الإرادة.

أهيب بأبناء شعبي أني وإياهم وبنفس الروحية سنبقى نتواصل معاً، ليس المهم أن نتواصل من خندق من الخنادق (رئاسة الوزراء)، ولكن المهم أن نتبادل الخنادق من أجل بناء العراق الجديد.

لا يمكن أن أنسى القوى السياسية المخلصة، والعناصر الخيرة كافة التي ساهمت في بناء العملية السياسية العراقية، وأدعوهم إلى أن نبقى نُشعِر الآخرين بأننا متواصلون، ومصرون على مواصلة هذه المسيرة المظفرة.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بكل آيات الشكر، والتقدير، والاحترام لكل أصحاب الاختصاص من أبناء شعبي البطل، ومن كل الشرائح الاجتماعية من دون استثناء، ومن كل أبناء الديانات من دون استثناء، ومن كل أبناء القوميات بلا استثناء، ومن كل أبناء المذاهب، ومن كل القوى السياسية من دون استثناء .

هؤلاء جميعاً مدعوون أكثر من أي وقت مضى؛ ليجسدوا وحدة العراق، وشجاعة العراق، وطول النفس الذي يتمتع به العراقيون؛ لأنهم بدأوا مسيرة بدأت بانتخابات الثلاثين من كانون الثاني من العام الماضي (2005)، هذا العام، عام التحديات الكبيرة، وعام الإنجازات العظيمة التي لم يُسجَّل مثلها في أي بلد من بلدان العالم.

لقد أنجز العراق إنجازات عظيمة في فترة زمنية قياسية وقصيرة (الانتخابات الأولى، الدستور، الانتخابات الثانية)، وهو يخوض غمار معركة شرسة على أكثر من جبهة.

إن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن هذا الشعب له قيم مرتبطة بالسماء، كيف لا وهو شعب مرتبط بسيل من المقدسات هنا على أرض العراق، يرتبط بالأنبياء، والأئمة الأطهار، وأصحاب المذاهب، ويرتبط بسيل الشهداء الذين يقف في مقدمتهم وعلى رأسهم شهيد العصر العظيم السيد (محمد باقر الصدر).

هذا الشهيد الذي مدّنا بينبوغ متدفق (فلسفتا واقتصادنا)، فكراً، وأدباً، وتنظيراً حيث كان في كل شيء قمة، وكانت أروع قممه، قمة الصمود؛ لذلك يجب أن نقرأ الصدر على أنه قدر وطني عراقي، مثل طموحات الشعب العراقي.

ليس سهلاً على الإنسان الفرد أن يكون بمستوى حجمه (محمد باقرالصدر)، ولا يمكن اختزال العراق على عظمته بشخص واحد، لكن السيد الصدر برهن أنه كبير فاستوعب العراق، وليس الصدر فقط إنما لابد أن نذكر المسيرة المضمّخة بالدم لكل الشهداء:

الشيخ عبد العزيز البدري، الشيخ عارف البصري، الشيخ ناظم العاصي، الصدر الثاني، السيد الحكيم، والمؤمنة المباركة بنت الهدى.

كما لا أنسى شهداء حزب الدعوة الإسلامية، هذا الحزب الذي نذر نفسه من أجل إحقاق الحق، وإشاعة العدالة... لقد شرّفني أن أنتمي لحزب الدعوة، حيث تعلمت من فكره الأصيل، ومن تاريخه الموغل في التضحية، ومن أفذاذه الذين تعلقت أجسادهم على أعواد المشانق، أن نضحّي من أجل الآخرين، لا نفرّق بين أحد وآخر.

هذا هو الخطاب الحركي، وهذا هو الأداء الوطني السياسي العراقي الذي شقوا طريقه إلى الآفق العراقي، شقوا طريقه إلى الآفاق؛ لكي يعيدوا ترتيب الخارطة التي رسمها بظلم صدام على المواطنين الأشراف كافة، وفي مقدمتهم حزب الدعوة الإسلامية.

أيها الإخوة الأحبة

عهد الله عليّ أن أواصل مسيرتي بقوة أشدّ، وبصلابة أكثر، وبتضحية أعمق حتى النفس الأخير.. إن الذي أعدكم بأنه لن ينثني، لن ينثني بإذن الله (تبارك وتعالى)، ليس هذا كلاماً بسيطاً إنما راجعت نفسي؛ من أجل تقوية الائتلاف، ومن أجل شدّ اللُحمة الوطنية، وشدّ أزر إخواني جميعاً.

أوصي إخواني من أي موقع من المواقع بأن لا يفهموا احتلال الموقع غنيمة، وأن لا يفهموا المسؤوليات والصلاحيات عملية نَهم، إنما هي تضحية نتوسم بهم جميعاً أن

يرتقوا إلى مستوى مسؤولياتهم، وأن يبدؤوا صفحة جديدة يشيع فيها الحب، ويغلب فيها صوت الوحدة على صوت التمزق، ويشيع صوت الإصرار على الثبات، والاستمرار من دون تراجع.

العراق سيبقى كما كان تاريخه زاخراً بالحضارة، وسيشق طريقه إلى المستقبل، ونحن سنواصل مع الإخوة المواطنين الأشراف الذين شمّروا عن ساعد الجد من خلال هويتهم الوطنية، هؤلاء الذين أبوا إلا أن يواصلوا المسيرة، وأياً كان من هؤلاء الإخوة، والذي سيشغل أي موقع من المواقع أو أي منصب من المناصب، سنكون له ظهيراً وسنداً من أجل رفعة العراق.

أيها الإخوة

أنا على يقين أن الشعب العراقي سيعطي الآخرين درساً مفاده: أنه أكبر من أن يتعثر، وأنه أكبر من أن تنتابه خيبة في أي مجال من المجالات؛ لأننا سنواصل معاً من مختلف الخنادق؛ حتى نصل بشعبنا إلى مستوى الاستتباب الأمني، والازدهار الاقتصادي، والاستقرار السياسي .

أقول: لتعرف أمم العالم، وشعوب العالم، أن هذا الشعب الذي أطبق عليه صدام بتلك الثقافة (ثقافة الحَجر) إنه شعب عظيم، شعب صاحب قيم، صاحب مبادئ، شعب يحب بقية الشعوب، ولن ينسى من يقف إلى جانبه من دول العالم، وشعوبه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..